

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[175] "توّاب" في التعبير القرآني. بعبارة أخرى "توبة" العبد عودته إلى الله، لأن الذنب فرار من الله والتوبة رجوع إليه. وتوبة الله، إغداق رحمته على عبده الآيب(1). صحيح أن آدم لم يرتكب محرماً، ولكن ترك الأولى يعتبر معصية منه. ولذلك سرعان ما تدارك الموقف، وعاد إلى خالقه. وسنتحدث فيما بعد عن المقصود بـ "الكلمات" في الآية. على أي حال، لقد حدث ما لا ينبغي أن يحدث - أو ما ينبغي أن يحدث - وقُبِلَت توبة آدم. لكن الأثر الوضعي للهبوط في الأرض لم يتغير، كما يذكر القرآن: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً، فَإِمَّا مَّا يُرَأُّوْا تَرِيدُونَ كُمْ مِّنْ ذِي هُدًى، فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). * * * 1 - الكلمات التي تلقاها آدم تعددت الآراء في تفسير "الكلمات"، التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربه. المعروف أنها الكلمات المذكورة في الآية 23 من سورة الأعراف: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فُتِنْتُهَا وَإِنِّي لَم تَغْفِرْ لَهَا وَتَرَدُّ حَمَلَهَا لَهَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ). وقال آخرون أن المقصود من الكلمات هذا الدعاء: "اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاعْفُ عَنِّي لِي إِزَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ". 1 - ولذلك، توبة العبد تتعدى بحرف الجر (إلى)، وتوبة الله تتعدى بـ (على)، فيقال في الأولى "تاب إليه" وفي الثانية "تاب عليه"، راجع التفسير الكبير للفخر الرازي وتفسير الصافي، ذيل آيات بحثنا.